مكافحة القرآن الكريم للفساد
دراسة موضوعية(*)

د. عبد الرحمن عبد الله سرور الجرمان(**)

المقدمة

الحمد لله الذي أمر بالإصلاح ونهى عن الفساد، وهو العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على إمام المصلحين، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الفساد هو أشد ما تعانيه المجتمعات، وهو سبب تراجعها وتخلفها ودمارها؛ ولذلك سعت بشتى الوسائل إلى مكافحته ومحاربته، وسنت القوانين والتشريعات الرادعة، ومع ذلك تنتشر كثير من مظاهره في هذه المجتمعات خارج عيون القانون.

ولما كان الرادع الديني الذاتي من أهم الروادع عن الفساد بشتى صوره؛ تأتي أهمية دراسة مكافحة القرآن الكريم للفساد بشتى صوره وأنواعه، وكذلك في هذا بيان رفعة وسمو القرآن الكريم، وأسبقيته للقوانين والتشريعات المعاصرة في موضوع مكافحة الفساد للوصول بالمجتمع للصلاح والإصلاح.

ولذلك رغبت بدراسة موضوع مكافحة الفساد بأنواعه من منظور قرآني، وسميته: (مكافحة القرآن الكريم للفساد – دراسة موضوعية).

(*) تم دعم هذا البحث من قبل الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت، مشروع بحث رقم (BE-١٨-٠١)، عنوان البحث: مكافحة القرآن الكريم للفساد – دراسة موضوعية.

(**) أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية الأساسية بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت.

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أهداف البحث فيما يأتي:

١. بيان أسبقية القرآن الكريم في مكافحة الفساد الفردي والمجتمعي بشتى صوره وأنواعه.

٢. معرفة أنواع الفساد وأسبابه.

٣. بيان كيفية معالجة القرآن الكريم لأصناف الفساد المتعددة.

٤. تحقيق الرادع الديني الذاتي عن أنواع الفساد المتعددة لتحريم القرآن الكريم لها ومحاربتها؛ حيث إن الرادع الديني الذاتي يعتبر من أقوى الروادع عن الفساد بشتى صوره.

أسئلة البحث:

١. ما معنى مكافحة القرآن الكريم للفساد؟

٢. ما أبرز أنواع الفساد التي كافحها القرآن الكريم؟

٣. ما أسباب الفساد؟

٤. كيف كافح القرآن الكريم الفساد بأنواعه؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الدراسات السابقة في هذا الموضوع؛ وجدت بعض البحوث، منها:

١- المنهج القرآني في علاج مشكلة الفساد، للباحث د. أنس سليمان النابلسي، وهو بحث علمي منشور في المؤتمر الدولي القرآني الأول: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، المنعقد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها ٢٠١٦م.

٢-الفساد وأسبابه – دراسة قرآنية، للباحثين: د. عبدالسلام حمدان و أ. ضيائي السوسي، وهو بحث علمي منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، مجلد ١٥ العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٧م.

٣- منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، للباحث د. إبراهيم الحميضي، وهو كتاب مطبوع في دار التدمرية بالرياض ٢٠١٣م، وأصله رسالة ماجستير مقدمة لكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤١٩هـ.

٤- مظاهر الفساد المالي وطرق علاجه كما يصوره القرآن الكريم، للباحث أ. د. عبدالسميع العرابيد، وهو بحث علمي منشور في المؤتمر الدولي القرآني الأول: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، المنعقد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها ٢٠١٦م.

٥- العلاج القرآني لمشكلة الفساد الإداري، للباحث أ. آسو رضا جرمكا، وهو بحث علمي منشور في المؤتمر الدولي القرآني الأول: توظيف الدراسات القرآنية في علاج المشكلات المعاصرة، المنعقد بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها ٢٠١٦م.

٦- منهج القرآن الكريم في علاج الفساد الإداري، للباحثين: أ. خلود الفليت و أ. صديق نصار، وهو بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة، المنعقد بالجامعة الإسلامية بغزة ٢٠٠٨م.

٧- نحو نظرية إسلامية لمكافحة الفساد الإداري والتعامل مع تبعاته، للباحث د. آدم نوح القضاة، وهو بحث علمي مقدم للمؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد – الرياض ٢٠٠٣م.

وقد بذل أصحاب هذه البحوث جهوداً طيبة فيها -جزاهم الله خيراً-، وبحثي يختلف عنها في الشكل والمضمون؛ فباستعراض هذه الدراسات وجدت أن الدراسة الأولى لم تتطرق إلا لنوعين من أنواع الفساد حسب تقسم الباحث الكريم: الفساد

في الاعتقاد والفساد في التشريع، وبيَّن منهج القرآن في معالجة هذين النوعين من أنواع الفساد اكتفى ببعض طرق المعالجة العامة، والدراسة الثانية تبحث في جزئية أسباب الفساد، والدراسة الثالثة في نوع واحد من أنواع الفساد وهو الفساد العقدي، والدراسة الرابعة في نوع واحد من أنواع الفساد وهو الفساد المالي، والدراسات الخامسة والسادسة والسابعة في نوع واحد من أنواع الفساد وهو الفساد الإداري.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ثم فهرس للمصادر والمراجع.

المقدمة: وفيها بيان أهمية البحث وأهدافه وأسئلته، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الباحث.

المبحث الأول: معنى مكافحة القرآن الكريم للفساد.

المبحث الثاني: أبرز أنواع الفساد التي كافحها القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب الفساد.

المبحث الرابع: طرق مكافحة القرآن الكريم للفساد. وفيه مطلبان: المطلب الأول: طرق المكافحة العامة للفساد في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: طرق المكافحة الخاصة لأنواع لفساد في القرآن الكريم.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

وأخيراً فهرس المصادر والمراجع.

*** المنهج البحث:**

المنهج المتبع في البحث هو المنهج الاستقرائي والاستنباطي.

استقراء القرآن الكريم واستخراج الآيات المتعلقة بالفساد، ثم استنباط أنواع الفساد وأسبابه وطرق مكافحة القرآن الكريم له.

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والهدى والرشاد،،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،،،

المبحث الأول

معنى مكافحة القرآن الكريم للفساد

حتى نعرف معنى مكافحة القرآن الكريم للفساد لا بد أن نعرف معاني مفردتي: (مكافحة –الفساد).

فالمكافحة: مصدر من كَفَحَ على غير وزن الفعل[١].

في لسان العرب: (المُكافحة: مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة، كَفَحَه كَفْحاً وكافَحَه مُكافَحَة وكِفاحاً: لقيه مواجهة، ولقيه كَفْحاً ومُكافَحَة وكِفاحاً أي مواجهةً. والمكافحة في الحرب: المضاربة والمدافعة تلقاء الوجوه)[٢].

فالمكافحة يدور معناها حول المواجهة والمدافعة والمضاربة.

وأما **الفساد** في اللغة فهو مصدر فَسَدَ وهو نقيض الصلاح[٣].

قال الأزهري: (قَالَ اللَّيْث: الفَساد: نقيضُ الصَّلاح، وَالْفِعْل فَسَد يَفْسُدُ فَسَادًا. قلتُ: ولغة أُخْرَى: فَسُد فُسُوداً، وَيُقَال: أفسَدَ فلانٌ المالَ يُفسِدُه إفساداً وَفَسَادًا، وفَسَّد الشيءَ: إذا أَبارَه، واستفسد السُّلْطَان قائده: إذا سَاءَ إِلَيْهِ حَتَّى استعصى عَلَيْهِ)[٤]. ومن معاني الفساد: البطلان والتغير[٥].

الفساد في الإصلاح:

المعنى الاصطلاحي للفساد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى اللغوي.

---

(١) لسان العرب (٥٧٣/٢).

(٢) المصدر السابق بتصرف، وانظر: تهذيب اللغة (٦٦/٤)، القاموس المحيط ص٢٣٨، تاج العروس (٧٩/٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢٧٥/١٢)، القاموس المحيط ص٣٠٦، لسان العرب (٣٣٥/٣).

(٤) تهذيب اللغة (٢٥٧/١٢–٢٥٨) بتصرف يسير.

(٥) انظر: تاج العروس (٤٩٦/٨).

قال الطبري: "الإفساد في الأرض: العمل فيها بما نهى الله –عز وجلَ– عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه"[١].

وقال ابن عبد البر: "الفساد كلمة جامعة لكل حرام وباطل"[٢].

وفي معجم لغة الفقهاء[٣]: "نشر الآثام والشرور".

فيكون تعريف الفساد: كل ما خرج عن الاعتدال والاستقامة من الشرور والآثام.

وهذا الفساد قد يكون في النفس، وقد يكون في البدن، وقد يكون في الأشياء الخارجة.

قال الراغب الأصفهاني: "الفساد هو خروج الشيء عن الاعتدال، قليلاً كان الخروج عنه أو كثيراً، ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة"[٤].

وقال ابن عاشور: "فالإفساد في الأرض: منه تصيير الأشياء الصالحة مضرة كالغش في الأطعمة، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالحرق والقتل للبرآء، ومنه إفساد الأنظمة كالفتن والجور، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتعليم الدعارة وتحسين الكفر ومناوأة الصالحين المصلحين[٥].

فيكون معنى مكافحة القرآن الكريم للفساد هو:

مواجهة القرآن الكريم لكل ما خرج عن الاعتدال والاستقامة من الشرور والآثام.

---

(١) جامع البيان (٢٩٩/١).

(٢) الاستذكار (١٣٤/٥).

(٣) معجم لغة الفقهاء، ص٣١٤.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص٦٣٦.

(٥) التحرير والتنوير (٢٨٤/١).

المبحث الثاني

أبرز أنواع الفساد التي كافحها القرآن الكريم

يتنوع الفساد في المجتمعات بصور متعددة؛ فمن أبرز أنواعه التي كافحها القرآن الكريم:

أولاً: الفساد العقدي.

الفساد العقدي: هو الانحراف عن العقيدة الصحيحة، وارتكاب ما ينافيها أو ينافي كمالها الواجب.

وبين الله تعالى أن الانحراف العقدي فساد كبير؛ وذلك في قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل:٨٨]، فهو أعظم أنواع الفساد؛ لأن بسببه يخسر الإنسان آخرته، {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)} [المائدة].

ولمّا نزل القرآن الكريم في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت البشرية قد انحرفت في عقيدتها عن ملة إبراهيم وصراط الله المستقيم، فكان الشرك بالله تعالى هو الشائع، والكتب السماوية التوراة والإنجيل قد حُرِّفت وبُدِّلت، فكان أول شيء جاء به القرآن الكريم هو مكافحة الشرك وتصحيح الاعتقاد بالله تعالى بتوحيده ونبذ الشرك والشركاء، {يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)} [المدثر].

ويكاد يكون القرآن الكريم كله لتقرير التوحيد والعقيدة الصحيحة ونفي ومكافحة الشرك[١]، وهذا الموضوع أهم مقصد من مقاصد القرآن الكريم، وهو أحد الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها[٢]، قال الطاهر ابن عاشور:

---

(١) انظر: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن ص٢٠

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (٣١/١).

"المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا هي ثمانية أمور: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق؛ لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما"(١).

ثانياً: الفساد المالي.

الفساد المالي: هو الانحراف في تحصيل المال أو إنفاقه بطرق غير مشروعة.

والمال هو قوام الحياة كما قال تعالى: {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} [النساء:٥]، وهو زينة الحياة كما قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف:٤٦]، ولما كان الأمر كذلك فقد ضعفت نفوس كثير من الناس فمارسوا الفساد في سبيل الحصول عليه أو في طريقة إنفاقه.

ومن أعظم مقاصد القرآن الكريم والشريعة الإسلامية حفظ الأموال لأصحابها وعدم التعدي عليها، وهو أحد الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها(٢).

ومن أبرز صور الفساد في تحصيل المال: السرقة، والربا، والغش في البيع، وأكل أموال الناس بالباطل، والميسر في حال الربح.

ومن أبرز مظاهر الفساد في إنفاق المال: الإسراف والتبذير، والبخل والتقتير، والميسر في حال الخسارة.

ثالثاً: الفساد الأخلاقي والسلوكي.

ويراد به: الانحراف عن القيم الأخلاقية والسلوكية القويمة إلى الأخلاق الفاسدة والسلوك السيئه.

---

(١) مقدمة تفسير التحرير والتنوير، المقدمة الرابعة (١/٣٩-٤٠) بتصرف يسير.

(٢) انظر: الموافقات للشاطبي (١/٣١).

وتهذيب الأخلاق والسلوك وتحسينهما من أجَلِّ مقاصد القرآن الكريم[1]، ومظاهر الفساد الأخلاقي والسلوكي كثيرة جدّاً، من أبرزها:

١. الجناية على العرض بالزنا واللواط والقذف.
٢. الجناية على النفس وما دون النفس بالقتل والجرح.
٣. الجناية على العقل بشرب الخمر وتعاطي المخدرات.
٤. أذية الناس بما دون ذلك بالأفعال والأقوال القبيحة، كالسخرية وعيب الآخرين والتنابز بالألقاب وسوء الظن والتجسس والغيبة والنميمة وغيرها.

رابعاً: الفساد الإداري.

الفساد الإداري: هو الانحراف في إدارة أي مؤسسة، سواء كانت حكومية أو أهلية، وسواء كان هذا الانحراف من مسؤول أو موظف.

وهي ظاهرة سلبية عمت المجتمعات، وهي ظاهرة قديمة جديدة، تتعدد صورها وتتنوع أساليبها، منها ظلم الموظفين أو المراجعين، والمحاباة، وعدم أداء الواجب الوظيفي المطلوب أو عدم إتقانه، وأخذ الرشوة، وغيرها.

وكلما زاد الفساد الإداري في المجتمع تراجع المجتمع وتخلف، وكلما قلَّ تقدم المجتمع وتطور.

خامساً: الفساد السياسي.

الفساد السياسي: هو إساءة استخدام السلطة العامة لأغراض غير مشروعة.

والسياسة الرشيدة للأمة من أهم مقاصد القرآن الكريم، قال ابن عاشور -رحمه الله-: (من المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها)[2].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/٣٩-٤٠).
(٢) المصدر السابق بتصرف.

والفساد السياسي موجود قديماً وحديثاً من قبل الحكام والساسة، ومن مظاهره الاستبداد والتكبر والظلم والطغيان، كما قال الله تعالى عن فرعون: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)} [القصص]، فمن إفساده تكبره واستبداده وظلمهم بالقتل والامتهان والقهر.

وقال تعالى: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ(٢٩)} [غافر]، فهو مستبد يرى أنه لا رأي إلا رأيه، ولا صواب إلا قوله.

وقد يدخل في الفساد السياسي ما ذكره الله تعالى في قوله: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)} [البقرة]، وذلك على تفسير مجاهد والضحاك أن قوله تعالى: {تَوَلَّى} من الولاية بمعنى إذا صار والياً، أفسد بالقتل والإحراق والإتلاف، أو أفسد بالظلم؛ فتسبب ظلمه بمنع المطر فيهلك الحرث والنسل[1].

ومن مظاهر الفساد السياسي أيضاً الابتزاز والرشوة وغيرهما من الممارسات المحرمة.

(١) انظر هذه الأقوال والأقوال الأخرى في تفسير الآية في: الكشاف للزمخشري (١٢٧/١) وزاد المسير لابن الجوزي (٢٢١/١)، والتحرير والتنوير (٢٦٨/٢).

المبحث الثالث

أسباب الفساد

أسباب ممارسة الفساد بأنواعه وصوره عديدة ومتنوعة، ومن أبرز أسباب الفساد التي ذكرها القرآن الكريم ما يأتي:

١- الذنوب والمعاصي.

قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)} [الروم].

بيّن الله تعالى أنه ظهور الفساد في البر والبحر بسبب ذنوب الناس ومعاصيهم، وأنه تعالى عاقبهم بذلك ليذيقهم جزاء بعض أعمالهم السيئة لعلهم يرجعون إليه بالتوبة والإنابة.

قال الشوكاني: (بيّن سبحانه أن الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم، والتعريف في الفساد: يدل على الجنس، فيعم كل فساد واقع في حيزي البر والبحر)[(١)].

٢- وسوسة الشيطان وتزيينه:

وسوسة الشيطان وتزيينه وإغواؤه من أكبر أسباب ممارسة الفساد بكل أنواعه، قال الله تعالى مخبراً عن الشيطان الرجيم: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)} [الحجر].

وبيّن الله تعالى أن سبب فساد الأمم هو صد الشيطان وإفساده لهم، فقال تعالى: {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)} [العنكبوت].

٣- اتباع الهوى:

اتباع الهوى سبب للضلال عن الطريق المستقيم، وسلوك سبيل المفسدين، قال الله تعالى لعبده داود: {يا داوود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ

(١) فتح القدير (٢٩٧/٤) بتصرف يسير.

بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)} [ص].

وبينّ الله –جل وعلا– أن اتباع الهوى سبب للردى والهلاك، فقال تعالى: {إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)} [طه].

وأخبر تعالى أن متبعي الأهواء هم أضل الناس عن الهدى، فقال تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)} [القصص]، وقال تعالى: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣)أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)} [الفرقان].

٤– الغفلة ونسيان مراقبة الله للعبد:

إذا غفل الإنسان نسي مراقبة الله تعالى له ورجوعه إليه، وإذا لم يستحضر ذلك مارس الفساد بأنواعه وصوره، ولذلك كثيراً ما يذكّر القرآن الكريم بدوام استحضار مراقبة الله تعالى للعبد، قال الله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)} [التوبة]، وقال تعالى: {وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل:٩٣]، وقال الله تعالى في آيات كثيرة: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة:٢٣٤]، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة:٢٦٥]، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٨٣].

٥– الكبر:

الكبر هو أول ذنب عُصي الله به، وهو أول سبب من أسباب الفساد العقدي، فتكبر إبليس على أمر الله بالسجود لآدم فأبى وكان من الكافرين، قال الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)} [البقرة]، وكذلك الكبر سبب من أسباب عدم الإيمان كما قال الله عن المشركين: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ

اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)} [الفرقان]، وقال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)} [النمل]، والكبر سبب لإفساد فرعون كما قال الله تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)} [القصص].

٦- الحسد:

بيّن الله تعالى أن الحسد سبب لتمني كثير من أهل الكتاب ارتداد المسلمين عن دينهم الحق إلى ما كانوا عليه من الباطل وعبادة الأوثان، فقال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة:١٠٩]، وهذا سبب من أسباب الفساد.

وكذلك بيّن الله تعالى أن سبب قتل ابن آدم لأخيه هو الحسد، قال الله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧)} [المائدة].

٧- التقليد الأعمى:

بيّن الله تعالى أن من أسباب فساد المشركين لا سيما في الاعتقاد هو التقليد الأعمى للآباء والأجداد، فقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)} [المائدة]، وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)} [البقرة].

وأخبر الله تعالى أن هذا دأب المفسدين في جميع الأمم وليس مختصاً بمشركي العرب، فقال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)} [الزخرف].

المبحث الرابع
طرق مكافحة القرآن الكريم للفساد

لمّا كانت مظاهر الفساد معول هدم للمجتمع، وسبباً لتخلفه وتراجعه؛ فقد كافح القرآن الكريم الفساد بأنواعه بطرق متعددة:

١. طرق مكافحة عامة للفساد.
٢. طرق مكافحة خاصة لنوع من أنواع الفساد.

وسوف أتناول هذه الطرق في المطلبين الآتيين – بإذن الله–.

المطلب الأول: طرق المكافحة العامة للفساد في القرآن الكريم.

لقد كافح القرآن الكريم مظاهر الفساد عموماً بطرق متعددة، من أهمها:

أولاً: النهي عن الفساد.

نهى الله – جل وعلا– عن الفساد في آيات عديدة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)} [البقرة] أي لا تخربوا فيها على وجه الإفساد.

وهذا النهي عن الإفساد في الأرض: {وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} قاله الله تعالى في كتابه الكريم أيضاً على لسان صالح –عليه السلام– [الأعراف: ٧٤]، وشعيب –عليه السلام– [هود:٨٥]، [الشعراء:١٨٣]، [العنكبوت: ٣٦].

وقال الله تعالى على لسان شعيب –عليه السلام– لقومه: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥)}[الأعراف]، وبيّن –عليه السلام– أن في ترك الفساد خير لهم ولأمتهم وأنه علامة على الإيمان.

وقال الله تعالى على لسان قوم قارون ناصحين له لما طغى في فساده: {وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)} [القصص].

ثانياً: ذم المفسدين.

لقد ذمَّ الله تعالى المفسدين في آيات عديدة في كتابه الكريم؛ وذلك تشنيعاً على سلوك سبيلهم، فأخبر الله تعالى أنه لا يحب الفساد ولا المفسدين؛ قال تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)} [البقرة]، وقال تعالى: {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)} [المائدة].

وبيّن الله تعالى أن أهل الإفساد منحرفون عن جادة الصواب، وأنهم خاسرون في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)} [البقرة].

وقال الله تعالى على لسان موسى –عليه السلام–: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)} [يونس]، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "وهكذا كل مفسدٍ عمل عملاً واحتال كيدًا أو أتى بمكرٍ؛ فإن عمله سيبطُل ويضمحلُّ، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمَحْق"(١).

ومما يدل على شناعة الفساد والإفساد أن أهله يتبرؤون من الانتساب إليه، ويدّعون عكسه وهو الإصلاح، قال الله تعالى عن المنافقين: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢)} [البقرة].

وقال الله تعالى على لسان صالح –عليه السلام– في خطابه لقومه: {وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)} [الشعراء]، فأخبر أن المفسدين مسرفون متجاوزون لحدودهم متمادون في معصية ربهم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٤١٥.

ثالثاً: توعد المفسدين بالعقوبة وبيان سوء عاقبتهم.

لقد توعّد الله تعالى المفسدين بالعقوبة وبيّن سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة في آيات كثيرة من كتابه الكريم، فقد لعن المفسدين وطردهم من رحمته، قال الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣)} [محمد]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥)} [الرعد].

وقد توَّعد الله تعالى الذين يفسدون في الأرض بالكفر والقتل والسرقة وإخافة الطريق بالعقوبة في الدنيا وفي الآخرة، قال الله تعالى: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤)} [المائدة].

وقد عاقب الله تعالى الأمم السابقة بسبب طغيانهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض، قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)} [الفجر].

وبيّن الله تعالى أن المفسدين يزاد في عذابهم يوم القيامة، قال الله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ(٨٨)} [النحل].

رابعاً: تعزيز مراقبة الله تعالى.

إن من أعظم أسباب انتشار الفساد عموماً هو غياب مراقبة الله تعالى، ولذلك عزز القرآن الكريم استحضار مراقبة الله –عز وجل– في النفوس، فقال الله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)} [التوبة]، قال الشوكاني: " فيه تخويف وتهديد: أي إن عملكم لا يخفى على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين، فسارعوا إلى أعمال الخير، وأخلصوا أعمالكم لله – عز وجل–، وفيه أيضاً ترغيب وتنشيط، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواء كان خيراً أو شراً رغب إلى أعمال الخير، وتجنب أعمال الشر"(١).

وقال تعالى: {وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٩٣)} [النحل:٩٣]، قال المراغي: "أي ولتسألن يوم القيامة جميعا سؤال محاسبة ومجازاة، لا سؤال استفهام واستفسار"(٢).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، منها قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)} [الْحَاقَّةِ]، وقوله تعالى: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ(٩)} [الطَّارِق] وقوله تعالى في آيات كثيرة: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [البقرة:٢٣٤]، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة:٢٦٥]، {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [البقرة/٢٨٣].

خامساً: الأمر بالإصلاح ورأسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أمر الله تعالى بالإصلاح في آيات عديدة في كتابه الكريم، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} [الحجرات]، وقال تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)} [الأنفال]، وقال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ

(١) فتح القدير (٢/٥١٥).

(٢) تفسير المراغي (١٤/١٣٥).

أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)} [النساء].

وبيّن الله تعالى أن الإصلاح سلوك الأنبياء والمرسلين، قال الله تعالى عن موسى –عليه السلام–: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)} [الأعراف]، وقال الله تعالى عن شعيب –عليه السلام–: {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)} [هود].

ووعد الله تعالى المصلحين بعظم الجزاء يوم القيامة؛ فقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)} [الأعراف].

وكما أخبر الله تعالى أن الفساد إذا عمَّ فهو سبب لعقوبة الله، قال الله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا(١٦)} [الإسراء]، وكذلك أخبر تعالى أن السعي لإصلاح الفساد في المجتمعات سبب للأمن من عقوبة الله لهم في الدنيا، قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)} [هود]

ومن أهم أسباب الإصلاح هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولذلك أوجب الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمة الإسلامية العظيمة، قال الله تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)} [آل عمران]، وبيّن الله تعالى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب خيرية هذه الأمة على غيرها من

الأمم، قال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران:١١٠]

قال الغزالي –رحمه الله–: (وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ بيّن أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس)(١).

وقال ابن عطية الأندلسي –رحمه الله–: ("كنتم" على صيغة الماضي، فإنها التي بمعنى الدوام، كما قال: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} إلى غير هذا من الأمثلة،... وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله)(٢).

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم صفات أهل الإيمان، وقد وعد الله عليه بالجزاء العظيم يوم القيامة؛ قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)} [التوبة].

قال القرطبي –رحمه الله–: (دلت هذه الآية على أن أخص أوصاف المؤمن: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)(٣).

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

(١) إحياء علوم الدين (٣٠٧/٢).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣١٨/٢).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧٣/٥) بتصرف يسير.

(١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)} [التوبة].

ومن أعظم أوصاف رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم-: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعثته -صلى الله عليه وسلم- هي أعظم إصلاح للبشرية، وأعظم أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)} [الأعراف].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (هذه صفة محمد -صلى الله عليه وسلم- في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم)[١].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أسباب التمكين في الأرض وجلب نصر الله تعالى، قال الله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)} [الحج].

قال الشيخ الشنقيطي -رحمه الله-: (وفي الآية دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٨٣).

(٢) أضواء البيان (٥/٧٠٣) بتصرف يسير.

وقد عزم الله تعالى على المؤمنين بفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى عن لقمان في وصيته لابنه: {يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)} [لقمان].

وأما أهل النفاق فليسوا من أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هم من أهل الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، ولذلك توعّدهم الله تعالى بالعقوبة العظيمة يوم القيامة، قال الله تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨)} [التوبة].

المطلب الثاني: طرق المكافحة الخاصة لأنواع الفساد في القرآن الكريم.

لقد كافح القرآن الكريم أبرز أنواع الفساد مكافحة خاصة بجانب طرق المكافحة العامة للفساد عموماً بجميع أنواعه، ومن أبرز طرق مكافحته لأنواع الفساد المتعددة:

أولاً: مكافحة الفساد العقدي.

لقد كافح القرآن الكريم الفساد العقدي بالشرك بالله تعالى والكفر والنفاق والسحر بطرق متعددة وأساليب متنوعة.

-مكافحة القرآن الكريم للشرك والكفر:

مادة (كَفَرَ) وردت في القرآن الكريم أكثر من ٥٠٣ مرة، ومادة (شَرَكَ) وردت في القرآن الكريم أكثر من ١٦٤ مرة[١]، فضلاً عما ورد في معناهما من ألفاظ أخرى.

ومن أبرز طرق مكافحة القرآن الكريم للشرك والكفر[٢]:

---

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم لعبد الله جلغوم (٦٦١/١)، و(١٠٢٣/٢).

(٢) انظر: منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك د. إبراهيم الحميضي ٢٤٩، وسوف أكتفي بآية واحدة في كل طريقة وإلّا فالآيات كثيرة جدًّا في هذا الباب.

١- الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك.

في آيات كثيرة جداً يأمر الله تعالى بتوحيده في العبادة وينهى عن الشرك فيه، منها قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٢)}[البقرة].

في هذه الآية يأمر الله تعالى جميع الناس بعبادته وحده، وبرهن بعظيم ربوبيته على استحقاقه للعبادة وحده تعالى دون ما سواه، فبيّن أنه هو الخالق لهم وللذين من قبلهم من الأمم، وهو الذي خلق الأرض وجعلها ممهدة لهم، وخلق السماء وجعلها سقفاً محفوظاً، وامتن عليهم بالرزق فأنزل الماء من السحب ليحيي به الأرض بعد موتها بإنبات النبات والثمرات ليأكلوا منها وأنعامهم، ثم نهى عن اتخاذ الأنداد والشركاء في العبادة؛ لأن الجميع يعلم أنه لا رب سواه ولا متصف بهذه الصفات العظيمة سواه.

قال ابن كثير: "شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة"(١).

٢- الدعوة إلى التفكر في الآيات الكونية والمخلوقات العظيمة.

نصوص القرآن الكريم كثيرة في الدعوة إلى التأمل والفكر في آيات الله الكونية ومخلوقاته العظيمة الدالة على ربوبيته واستحقاقه وحده للعبادة، فمن تلك الآيات قول الله تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)}[يونس].

(١) تفسير القرآن العظيم (١٩٦/١).

في هذه الآية الكريمة يدعو الله –سبحانه وتعالى– عباده إلى التأمل والنظر والتفكر في عظيم خلقه في السماوات من شمس وقمر وكواكب ونجوم وبروج وليل ونهار ومطر وغيرها، وفي الأرض من بحار وأنهار وسهول جبال وأشجار وثمار وأنواع الحيوانات وغيرها؛ فإن في ذلك آيات وبراهين لأصحاب العقول السليمة والفطر القويمة تدل على أن الله وحده هو المستحق للعبادة، وأما أهل الكفر فما تنفعهم هذه الآيات والبراهين بسبب إعراضهم وعنادهم وتكبرهم على الحق.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل لما فيها وما تحتوي عليه والاستبصار؛ فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وعبرًا لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده المعبود المحمود ذو الجلال والإكرام والأسماء والصفات العظام"(١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: "ففي كل هذه الأشياء التي تبصرون آيات كثيرة تدل على علم خالقها وقدرته، ومشيئته وحكمته، ووحدة النظام في جملتها وفي كل نوع منها هى الآية الكبرى على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته"(٢).

٣– ذكر محاسن التوحيد وجزاء الموحدين.

جاءت آيات كثيرة جداً في ذكر محاسن توحيد رب العالمين وجزاء الموحدين في الدنيا والآخرة، فمن هذه الآيات القرآنية الكريمة قول الله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)} [الأنعام].

يبيّن الله –جل وعلا– أن الذي يؤمن بالله ويخلص له العبادة ولا يخلطها بشرك –كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم– له الأمن من المخاوف والشقاء والعذاب

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٤١٩.

(٢) تفسير المنار (٣٩٦/١١).

في الدنيا والآخرة، وله الهداية إلى الطريق المستقيم والدين القويم في الدنيا، والهداية إلى الجنة في الآخرة.

قال ابن كثير: "هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئا؛ هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"(١).

وقال السعدي: "لهم الأمن من المخاوفِ والعذاب والشقاء، والهدايةُ إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا لا بشرك ولا بمعاصٍ، حصل لهم الأمن التام والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها، ومفهوم الآية الكريمة: أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء"(٢).

وفي استخدام اسم الإشارة للبعيد {أُولَئِكَ} إشعار بعلوّ درجتهم وبُعد منزلتهم في الشرف(٣).

٤- التذكير بنعم الله العظيمة.

يمتن الله تعالى على عباده في آيات كثيرة بعظيم النعم، التي تدل على تفرده بالربوبية واستحقاقه للعبادة دون ما سواه؛ لأنه لا يستحق أن يعبد إلا الرب المتصف بصفات العظمة والكمال والجلال والجمال، ومن تلك الآيات قول الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ(٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٩٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٢٨٢.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٣/١٥٦).

كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)}[إبراهيم].

يخبر الله تعالى في هذه الآيات أنه وحده الذي خلق السماوات والأرض على اتساعها وعظمتها، وسخّر كل ما فيها للبشر، وأنزل من السحب الأمطار التي بها حياة الأرض ورزق المخلوقات، وسخر السفن في البحار وسهّل جريانها، وسخر الأنهار الجارية، وسخر الشمس والقمر بنظامهما الدقيق الذي لا يفتر، وسخر الليل ليسكن فيه الخلق والنهار للسعي في الرزق، و أعطى المخلوقات ما سألوه بلسان حالهم أو مقالهم، وبيّن الله تعالى أنه مهما يحاول الخلق تعداد نعم الله فلن يستطيعوا عدّها لكثرتها التي لا تحصى، ومع ذلك من طبيعة البشر ظلم النفس بالمعاصي وكفر النعم، مما يدل على أن الواجب هو شكر الله على عظيم نعمه، وتوحيده وطاعته والاستقامة على أمره.

٥- إظهار عجز آلهة المشركين.

في آيات كثيرة يظهر الله تعالى عجز آلهة المشركين مما يدل على ضعفها وعدم استحقاها للعبادة، ومن هذه الآيات قول الله تعالى: {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥)}[الأعراف].

بيّن الله تعالى في هذه الآيات أن الآلهة التي يعبدها الكفار من دون الله لا تستطيع أن تخلق شيئاً بل هي نفسها مخلوقة مربوبة، ولا تنصر عابديها ولا حتى نفسها، وهي مجرد جمادات لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر، وليس لها أرجل ولا أيد ولا أعين ولا آذان، فهي عادمة لجميع هذه الأعضاء والقوى التي في الإنسان،

فكيف يعبدها الإنسان وهو أكمل خلقاً منها؟!! إذن فهي لا تستحق العبادة، وإنما يستحقها الرب العظيم سبحانه وتعالى.

٦- التشنيع بحال المشركين.

بيّن الله تعالى في آيات كثيرة سوء حال المشركين وضلالهم وظلمهم لأنفسهم بأبشع أنواع الظلم وهو الشرك بالله تعالى بصرف العبادة لغيره ممن لا يستحقها، فالله تعالى وحده الذي يستحق العبادة، قال الله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)} [الأحقاف].

قال الشوكاني -رحمه الله- في معنى الآية: (أي: لا أحد أضل منه ولا أجهل؛ فإنه دعا من لا يسمع، فكيف يطمع في الإجابة فضلا عن جلب نفع أو دفع ضر؟! فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين، والاستفهام للتقريع والتوبيخ)[١].

٧- بيان عقوبة الله تعالى للمشركين في الدنيا والآخرة.

القرآن الكريم مليء ببيان عقوبة الله تعالى للمشركين في الدنيا والآخرة، أما العقوبات في الدنيا فالقصص القرآني يذكر ما عذب الله به الأمم المشركة التي كفرت بالله وكذبت أنبياءه، كما حصل لقوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وفرعون وغيرهم، وذكّر الله تعالى المشركين بهذا الأمر فقال تعالى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)} [فاطر]، وقد بين الله تعالى أنه يحبط جميع أعمال المشركين يوم القيامة فقال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣)} [الفرقان]، وقال تعالى: {وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)} [الأنعام]، وتوعّد الله

(١) فتح القدير (١٩/٥).

تعالى المشركين بالعذاب يوم القيامة فقال تعالى: {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣)} [الشعراء]، وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)} [المائدة].

- **مكافحة القرآن الكريم للنفاق:**

وكذلك كافح القرآن الكريم النفاق- وهو إظهار الإسلام وإبطان الكفر- في آيات كثيرة، فقد كشف سلوك المنافقين لا سيما في سورة التوبة وفي سورة المنافقين، وأمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- بجهادهم والغلظة عليهم، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة:٧٣] و[التحريم:٩]، وقد توعّدهم الله تعالى بالعذاب الشديد يوم القيامة، فقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٦٨)} [التوبة]، وقال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥)} [النساء].

- **مكافحة القرآن الكريم للسحر:**

وقد كافح القرآن الكريم السحر، فبشع الله صورته وبيّن أنه كفر بالله تعالى وأنه يضر ولا ينفع، فقال تعالى: {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} [البقرة:١٠٢]، وأخبر الله تعالى أن متعاطي السحر ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب، فقال تعالى: {وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [البقرة:١٠٢].

وبين الله تعالى أن الساحر لا يفلح أبداً، فقال تعالى: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه:٦٩].

ثانياً: مكافحة الفساد المالي:

لقد كافح القرآن الكريم كل مظاهر الفساد المالي، فمن صور الفساد المالي التي كافحها القرآن الكريم:

١- السرقة.

سرقة أموال الناس جريمة بحقهم، وتعتبر من الفساد في الأرض، ولذلك قال الله تعالى على لسان إخوة يوسف -عليه السلام-: {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)} [يوسف]، قال الشوكاني: "وجعلوا المقسم عليه: هو علم يوسف وأصحابه بنزاهة جانبهم وطهارة ذيلهم عن التلوث بقذر الفساد في الأرض الذي من أعظم أنواعه السرقة"(١).

وقد حارب القرآن الكريم هذا النوع من الفساد المالي فجعله من كبائر الذنوب وقبائح الأعمال ورتب عقوبة شرعية رادعة لمن ارتكب جريمة السرقة، فقال الله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩)}[المائدة].

فأوجب الله حداً شرعياً بقطع اليد المفسدة السارقة، والمخاطب بالأمر بالقطع هم ولاة الأمور لقرينة المقام(٢)، وقد ذكر العلماء شروطاً لإقامة حد السرقة على السارق، منها: أن تكون السرقة من حرز، وأن يكون المال مباحاً، وأن تكون قيمته ربع دينار ذهب فأكثر.

وقد بيّن الله تعالى الحكمة من هذا الحد الشرعي بقوله: {جَزاءً بِما كَسَبا نَكالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}، قال ابن عاشور: "فحكمة مشروعية القطع: الجزاءُ

---

(١) فتح القدير (٣/٥٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (٦/١٩٠).

على السرقة جزاءً يُقصَد منه الردع وعدم العود؛ أي: جزاءً ليس بانتقامٍ ولكنه استصلاح"[1].

ولا شك أن هذه العقوبة تمنع كثيرًا من الناس من هذا النوع من الفساد وتخفف منه في المجتمع.

وفي هاتين الآيتين جمع رب العالمين في محاربة السرقة بين أمرين: التخويف من العقاب على هذا الفعل، وتعزيز الوازع الإيماني بالحث على التوبة والإصلاح.

قال المراغي: "جمع في هذه الآيات بين الوازع الداخلي وهو الإيمان والصلاح، والوازع الخارجي وهو الخوف من العقاب والنكال"[2].

٢- الربا.

التعامل بالربا واستغلال حاجات الفقراء والمساكين كبيرة من كبائر الذنوب، فقد توعد الله المرابين وعيداً شديداً في الدنيا وفي الآخرة، وآذنهم بحرب من الله ورسوله، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)}[البقرة].

---

(١) المصدر السابق (١٩٣/٦).

(٢) تفسير المراغي (١١٣/٦).

أخبر الله تعالى في هذه الآيات أن المرابين لا يقومون من قبورهم للبعث إلا كقيام المجانين وأهل الصرع، وذلك عقوبة وفضيحة لهم أمام الملأ على فعلهم الشنيع واستباحتهم الربا كما يستبيحون البيع، ثم بعد ذلك دعا المرابين للتوبة والإنابة والكف عن هذا الفعل فقال: {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ}، وتوّعد من استمر على الربا بعد بيان الله وتذكيره بالعذاب يوم القيامة: {وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، ثم أخبر الله تعالى أنه يعامل المرابين بنقيض قصدهم فيمحق مكاسبهم وأموالهم كما ينمي أموال المتصدقين، فقال تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}، وختم هذه الآية بقوله: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} لإفادة أن الربا من أفعال الكفار الآثمين الذين لا يحبهم الله تعالى.

ثم قال الله تعالى –بين آيات الربا–: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}؛ لبيان أن أعظم الأسباب لاجتناب ما حرم الله من الربا هو تكميل الإيمان والتزام الأعمال الصالحة، خصوصاً الصلاة والزكاة؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والزكاة هي إحسان إلى لخلق ومواساة للفقير تنافي الربا الذي هو ظلم للخلق واستغلال لحاجة الفقير وإساءة له(١).

ثم وجّه الله تعالى الخطاب إلى المؤمنين آمراً إياهم بتقواه وترك ما بقي من تعاملات الربا التي كانوا يتعاطونها إن كانوا يؤمنون بالله إيماناً حقيقياً.

ثم بيّن الله تعالى أن من لم يمتثل لهذا الأمر الرباني فإنه محارب لله تعالى ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، وأن من تاب وامتثل لأمر الله تعالى فإنه يأخذ رأس ماله فقط دون الفائدة الربوية، وأخبر أن هذا هو العدل في هذا التعامل، فقال تعالى: {لَا تَظْلِمُونَ}؛ أي الناس بأخذ أموالهم بالباطل عن طريق الربا، {وَلَا

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص١١٩.

تُظْلَمُونَ}؛ أي ببخسكم رؤوس أموالكم، وهذه الخاتمة للآيات تدل دلالة صريحة على أن الربا لون من ألوان ظلم الناس.

ولشناعة الربا وكونه ظلماً للناس فقد نهت عنه الشرائع السابقة، قال الله تعالى عن اليهود: {وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} [النساء:١٦١]؛ أي في التوراة، فقد كان الربا محرماً عليهم كما هو محرم علينا(١).

قال أبو حيان الأندلسي: " {وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ} هذه جملة حالية تفيد تأكيد قبح فعلهم وسوء صنيعهم؛ إذ ما نهى الله عنه يجب أن يبعد عنه، قالوا: والربا محرم في جميع الشرائع"(٢).

٣- الميسر.

الميسر هو القمار، وقد بين الله تعالى أن مفاسده أكثر منافعه، وذلك في قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة:٢١٩]، فمن أعظم مفاسد الميسر وكذلك الخمر هو نشر العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، والصد عن الصلاة وذكر الله تعالى، كما قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة].

ومن مفاسد المسير أيضاً: التعويد على الكسل، وعدم بذل الأسباب الصحيحة لتحصيل الرزق، وإنما الركون فقط لطاولة القمار، وهذا الأمر خطير جداً على الرزق؛ فيحتمل إفلاس المقامر وخراب البيوت في ساعة واحدة(٣).

---

(١) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (٢٥٥/١)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢٥٣/٢).

(٢) البحر المحيط (٤٧٢/٧).

(٣) انظر: تفسير المراغي (١٤٢/٢)، والتحرير والتنوير (٣٤٩/٢).

٤- الغش في الموازين.

ظاهرة الغش في الموازين عند البيع والشراء إحدى مظاهر الفساد المالي، وهي منتشرة في المجتمعات الإنسانية قديماً بسبب الجشع وضعف الوازع الديني، ولذلك ذكر الله تعالى لنا أن هذه الظاهرة كانت منتشرة عند قوم شعيب -عليه السلام-، وقد حذرهم شعيب -عليه السلام- كثيراً من ظلم الناس بالغش في الموازين عند البيع والشراء، وأمرهم بالعدل والقسط، قال الله تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)} [هود].

وقد حارب القرآن الكريم هذه الظاهرة، فأمر الله تعالى بإيفاء الكيل والوزن بالعدل بدون بخس ولا نقص، قال الله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)} [الإسراء]، وقال تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} [الأنعام/١٥٢].

ونهى الله تعالى عن التطفيف في الكيل والميزان وتوعّد المطففين بالعذاب والعقاب فقال تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١)}[المطففين]، ثم فسّر الله تعالى معنى المطففين بقوله: {الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)} [المطففين]؛ أي إذا أخذوا من الناس استوفوا حقهم كاملاً بلا نقص، وإذا أعطوا الناس غشوهم وأنقصوا الكيل أو الوزن، ثم توعد المطففين يوم القيامة فقال: {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)} [المطففين].

٥- أكل أموال الناس بالباطل.

نهى الله تعالى عن الاعتداء على أموال الناس بأكلها بغير حق، فقال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ

تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [النساء: ٢٩]، وقال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)}[البقرة]، وأضاف الله تعالى مال الغير إلى نفس الآكل بالباطل لأنه ينبغي أن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه، ويحترم مال أخيه المسلم كما يحترم ماله، ولأن أكله لمال أخيه بغير حق يجرّئ غيره على أكل ماله عند القدرة(١).

ويدخل تحت هذه الآية كل الأسباب المحرمة في أخذ الأموال، فيدخل تحتها: السرقة والغصب والخيانة في وديعة أو عارية أو نحو ذلك، وكذلك يدخل تحتها كل صور المعاوضات المحرمة كالربا والميسر، وكذلك أخذها بالغش والخداع ومنه التطفيف، وكذلك أكل أموال الضعفاء بغير حق كاليتامى وغيرهم، وكذلك استئجار العمال والأجراء وعدم إعطائهم حقوقهم، وكذلك أخذ الأجرة من صاحب العمل وعدم إيفائه حقه، وكذلك أخذ الرشاوى لإنجاز معاملات الناس، أو للتغاضي مخالفاتهم ونحوها من صور أكل أموال الناس بالباطل(٢)، فهذه الآية تشمل كل صور الفساد في أخذ المال بغير حق.

ولضعف اليتيم وعظم حقه فقد نص الله تعالى في القرآن الكريم على النهي عن أخذ أي شيء من ماله بغير حق، فقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام:١٥٢] و[الإسراء:٣٤]، وتوعّد الله تعالى الذين يظلمون اليتامى بأكل أموالهم بغير حق وعيداً شديداً، فقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)} [النساء].

٦- الإسراف والتبذير والبخل والتقتير.

كما حارب الإسلام كل مظاهر الفساد في أخذ الأموال، كذلك حارب مظاهر الفساد في إعطاء الأموال، فحارب البخل والشح والتقتير على النفس والأهل

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٨٦.
(٢) المصدر السابق.

والعيال، وحارب أيضاً الإسراف والتبذير، قال الله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩)} [الإسراء]، فنهى الله تعالى عن البخل والشح في قوله: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}، فهذا كناية عن الإمساك والبخل، ونهى عن الإسراف والتبذير في قوله: {وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}، فبين الله تعالى أن من يفعل ذلك فإنه يصبح ملوماً على هذه الأفعال وحاسر اليدين، أي فارغها فلا يبقى عنده شيء.

قال البيضاوي: "تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر، نهى عنهما وأمر بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم"(١).

وقال ابن العربي: "هذا خطاب للنبي -صلى الله عليه وسلم- والمراد أمته، وكثيراً ما جاء في القرآن؛ فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لمّا كان سيدهم وواسطتهم إلى ربهم عَبَّر به عنهم على عادة العرب في ذلك"(٢).

وأخبر الله تعالى أنه لا يحب المسرفين والمبذرين، فقال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} [الأعراف]، وبين أن المسرفين المبذرين إخوان الشياطين فقال تعالى: {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧)} [الإسراء]، والشيطان لا يدعو إلا إلى خصال ذميمة.

وبين الله تعالى أن الاعتدال والتوسط في الإنفاق من صفات عباد الرحمن، فذكر من صفاتهم: {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا(٦٧)} [الفرقان].

ومن البخل في الأموال: عدم أداء الحقوق الواجبة فيها كالزكاة، وقد توعدهم الله تعالى بالعقوبة في قوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ

(١) أنوار التنزيل (٥٨٣/١).
(٢) أحكام القرآن (١٢٠٤/٣).

فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)} [البقرة]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)} [التوبة].

قال الشيخ الشنقيطي: "المراد بكنزهم الذهب والفضة وعدم إنفاقهم لها في سبيل الله: أنهم لا يؤدون زكاتهما"[١].

ثالثاً: مكافحة الفساد الأخلاقي والسلوكي:

من أعظم مظاهر الفساد الأخلاقي والسلوكي التي كافحها القرآن الكريم هي الجناية على العرض والنفس والعقل وأذية المؤمنين بما دون ذلك.

١- تحريم الجناية على العرض.

من أعظم مقاصد القرآن الكريم حماية الأعراض، فهي من الضرورات الخمس التي حماها الإسلام[٢]، من أجل ذلك فقد حرم القرآن كل ما يشكل اعتداء على العرض؛ فحرم الزنا واللواط والقذف.

-تحريم الزنا:

الزنا هو مجامعة امرأة غير زوجة له، ولا مملوكة له غير ذات زوج[٣]، وقد حرمه الله -عز وجل- في آيات عديدة، وبيّن أنها فاحشة مستقبحة وسلوك سيء؛ لأن فيها تعديًا على حق الله وحق المرأة وحق زوجها وحق قرابتها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد، قال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢)} [الإسراء]، فهنا نهى الله -عز وجل- عن قربان الزنا،

(١) أضواء البيان (١١٦/٢).

(٢) انظر: الموافقات (٣١/١).

(٣) التحرير والتنوير (٩٠/١٥).

وهذا أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن النهي عن القربان يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه، فمن اقترب من مقدماته ودواعيه أوشك أن يقع فيه كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه(١).

ولذلك أمر تعالى بغض البصر، فقال تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} الآية [النور: ٣٠-٣١].

ونهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الخلوة بالمرأة الأجنبية، فقال: (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم)(٢).

وقد توعّد الله تعالى الزاني إذا لم يتب بعقوبة عظيمة يوم القيامة، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)} [الفرقان].

وقد رتب الشرع الحكيم عقوبة دنيوية لمن يعتدي على الأعراض بجريمة الزنا سواء كان رجل أو امرأة من غير إكراه، قال الله تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)} [النور]، وهذا الحكم جلد مائة في حق البكر ومعه أيضاً نفي سنة، وأما الثيب فقد حكم عليه الشرع بالرجم بالحجارة حتى الموت، وقد جاء هذا في سنة رسول الله -

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢/١٣)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٥٢٥.
(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١) واللفظ له.

صلى الله عليه وسلم-، فقد جاء عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"(١)، وعن عبد الله بن مسعود -رض الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة"(٢).

-تحريم اللواط:

لقد حرم الله تعالى عمل قوم لوط، وهو ممارسة الفاحشة من الدبر، وبيّن أنه فاحشة شنيعة مستقبحة، وأنهم متجاوزون لحدودهم في هذا الفعل الشنيع، قال الله تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)} [الأعراف، وقد عاقبهم الله تعالى على قبح إجرامهم عقوبة شديدة، قال الله تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤)} [الحجر]، وبيّن الله تعالى أن في هذه العقوبة عبرة للمتأملين الذين يفهمون أن الله تعالى سيعاقب بأبشع العقوبات من يتجرأ على معاصي الله تعالى، خصوصاً هذه الفاحشة الشنيعة كما عاقب قوم لوط، فقال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)} [الحجر]، وقال تعالى في آية أخرى بعد أن ذكر عقوبته لقوم لوط: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود:٨٣]؛ أي الذين يظلمون أنفسهم بالذنوب والمعاصي ومخالفة الرسل، خصوصاً هذه الفاحشة، والله أعلم(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٤٣٤، ٤٩٤.

وقد وصف الله تعالى من يرتكب هذه الفاحشة بالخبيث والسيء والفاسق، قال الله تعالى: {وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤)} [الأنبياء]، وفي آية أخرى وصفه الله تعالى بالمفسد، قال الله تعالى على لسان لوط –عليه السلام–: {قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)} [العنكبوت].

ورتّب الشارع الحكيم حدَّ القتل على من يمارس اللواط، كما روى عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به)[1].

–تحريم القذف:

حمى الشارع الحكيم عرض المسلم من القذف، وهو اتهام المحصنين والمحصنات بالزنا، وعدّه كبيرة من كبائر الذنوب، وأوجب حدًّا على القاذف بجلده ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته إن لم يأتِ بأربعة شهداء يشهدون برؤية عين واقعة الزنا ممن قذفه، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)} [النور].

قال المراغي: " نهى عن رمي المحصنات به، وشدد في عقوبته الدنيوية والأخروية، فجعل عقوبته في الدنيا الجلد وألا تقبل له شهادة أبداً، فيكون ساقط الاعتبار في نظر الناس مُلغى القول لا تُسمع له كلمة، وجعل عقوبته في الآخرة العذاب المؤلم الموجع، إلا إذا تاب إلى الله وأناب وأصلح أعماله، فإنه يزول عنه اسم الفسوق وتقبل شهادته"[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وصححه الألباني، ويقتل المفعول به أيضاً إذا رضي بهذا الشذوذ، أما إذا اغتُصب إكراهاً فلا يقتل.

(٢) تفسير المراغي (١٨/٧١–٧٢).

٢- تحريم الجناية على النفس وما دون النفس.

من أعظم مقاصد القرآن الكريم حماية الأنفس من الاعتداء عليها، فهي أحدى الضرورات الخمس التي حماها الإسلام(١)، ولذلك حرم الله القتل والاعتداء على الأنفس، قال الله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأنعام:١٥١] و[الإسراء:٣٣]، وتوعّد القاتل بعقوبات عظيمة يوم القيامة، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)} [النساء]، قال ابن كثير: "وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله؛ حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} الآية"(٢).

وأما في الدنيا فكل من اعتدى على أخيه المسلم بقتل أو جناية دون القتل فإنه يُقتص منه بمثل ما فعل بأخيه سواء بسواء، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يا أولي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)} [البقرة].

٣- تحريم الجناية على العقل.

من المقاصد العظيمة للقرآن الكريم حماية العقل، فهى من الضرورات الخمس التي حماها الإسلام(٣)، ولذلك حرّم الخمر لأنه يغيب العقل ويتلفه، ولما كانت الخمر مألوفة عند العرب يصعب عليهم الانتهاء عنها فجأة، تدرج بهم القرآن حتى

---

(١) انظر: الموافقات (٣١/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٧٧/٢).

(٣) انظر: الموافقات (٣١/١).

وصل بهم إلى النهي والتحريم الكلي، فبشّع صورتها أولاً بأن مفاسدها أكبر من منافعها، قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة:٢١٩]، ثم نهى عنها جزئياً قبل أوقات الصلوات فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء:٤٣]، ثم لما توطنت النفوس على الامتناع عنها ولو جزئياً: جاء التحريم النهائي والنهي عنها ووصفها بأنها رجس أي إثم وشر من تزيين الشيطان، وبيان أن من أعظم مفاسدها نشر العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، كما قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة].

وأوجب النبي –صلى الله عليه وسلم– حدَّ الجلد على شارب الخمر؛ فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه–: (أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أُتي برجل قد شرب الخمر، فجلده بجريدتين نحو أربعين)، قال أنس: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانين، فأمر به عمر[1].

والمخدرات حكمها مثل الخمر في التحريم لعلة إذهاب العقل وإفساده.

٤– تحريم الأذية بما دون ذلك.

من الأعمال السيئة التي حاربها القرآن الكريم أذية المؤمنين، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(٥٨)} [الأحزاب].

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٦).

قال القرطبي: "أذية المؤمنين والمؤمنات هي بالأفعال والأقوال القبيحة، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلق، وهذه الآية نظير الآية التي في النساء: {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [النساء: ١١٢]"(١).

ونهى القرآن الكريم عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١)} [الحجرات].

ففي هذه الآية القرآنية الكريمة ينهى ربنا – تبارك وتعالى – عما يجرح مشاعر المؤمن ويخدش روابط الأخوة، من السخرية وعيب الآخرين والتنابز بالألقاب التي يسوء الشخص سماعها.

والسخرية هي الازدراء، ويكون بالقول والفعل والاشارة.

والهمز واللمز من السخرية، قيل الهمز باللسان واللمز بالجوارح(٢)، وقيل العكس: الهمز بالجوارح واللمز باللسان(٣).

والتنابز بالألقاب من السخرية أيضاً، وهو دعاء المرءِ صاحبَه بما يكرهه من اسم أو صفة(٤).

وذكر اللمز والتنابز بالألقاب في الآية القرآنية بعد ذكر السخرية من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتماماً به.

وكذلك حرم سوء الظن والتجسس والغيبة، فقال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٦/١٧).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٩٠/١٩).
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٧٦/٧).
(٤) انظر: جامع البيان (٣٧١/٢١).

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)} [الحجرات].

ففي هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى عن أخلاق سيئة، وهي الظنون السيئة والتهم التي لا تقوم على أدلة وقرائن، وكذلك التجسس واتباع عورات المؤمنين، وغيبتهم وهي ذكرهم بما يكرهون في غيبتهم.

وتتابع هذه النواهي في الآية وترتيبها في غاية الإتقان، فإن التجسس والغيبة ثمرة سوء الظن، فإن الإنسان إذا أساء الظن قد يحمله ذلك على التجسس والغيبة، أو التجسس ثم الغيبة.

وهناك أخلاق مذمومة نهى عنها القرآن الكريم يصعب حصرها في هذا البحث(١).

رابعاً: مكافحة الفساد الإداري:

قد كافح القرآن الكريم الفساد الإداري في المجتمع من خلال عدة أمور، من أهمها:

١- الحث على تعيين الكفء والأمين.

طلب النبيُ القدوة يوسف -عليه السلام- الولايةَ من ملك مصر لّما كاد يهلك الناس لما يعلم من توفر مقومات إدارتها عنده من كفاءة وأمانة، فقال كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥)} [يوسف]، قال ابن جزي: "وإنما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل

(١) تنظر في موسوعات الأخلاق، مثل: موسوعة نضرة النعيم لمجموعة من الباحثين، وموسوعة الأخلاق لخالد الخراز، وموسوعة الأخلاق إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية.

وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافراً، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال"[١].

وكذلك بنت الرجل الصالح في مدين لمّا طلبت من أبيها استئجار موسى –عليه السلام– للعمل عنده، علّلت ذلك بتوفر مقومات إدارة العمل الجيدة عند موسى –عليه السلام–: القوة والأمانة، فقالت كما ذكر الله عنها في كتابه الكريم: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يا أبت اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)} [القصص]، "يعني: خير من استعملت مَنْ قَوِيَ على العمل وأدى الأمانة"[٢].

قال أبو حيان الأندلسي: "وقولها كلام حكيم جامع؛ لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمرٍ، فقد تم المقصود، وهو كلام جرى مجرى المثل، وصار مطروقاً للناس، وكان ذلك تعليلاً للاستئجار، وكأنها قالت: استأجره لأمانته وقوته"[٣].

٢– إبراز القدوة الحسنة من القيادات الإدارية.

كلما كان القياديون على قدر من الكفاءة والأمانة والنزاهة والصلاح، والإصلاح: اقتدى بهم من تحتهم من الموظفين والعمال، وكلما كان القياديون فاسدون، انعكس ذلك على الموظفين والعمال لما يرون من فساد مسؤوليهم، ولذلك ركز القرآن الكريم على إبراز القدوات الصالحة من الرسل والأنبياء والصالحين، وعلى رأسهم رسولنا محمد –صلى الله عليه وسلم–، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)} [الأحزاب].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٥١/٢).

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٤٣٥/٣).

(٣) البحر المحيط (٣٥/١٧).

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أقواله وأفعاله وأحواله"(١).

٣- الأمر بالعدل والنهي عن الظلم.

لا يستقيم أي عمل إداري ما لم يتم التعامل بالعدل مع الجميع من صاحب العمل أو المسؤول تجاه العاملين، ومن العاملين تجاه صاحب العمل بأداء العمل المتفق عليه على أكمل وجه، وكذلك من المسؤولين والعاملين تجاه المراجعين، وإذا نزع العدل في التعامل واستبدل بالظلم عم الفساد واستشرى، ولذلك أمر الله تعالى في كتابه الكريم بالعدل في كل شيء ونهى عن الظلم والبغي، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)} [النحل]، قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: "إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلُ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ (٩٠)} [النحل]"(٢).

وقّرر الله تعالى هذا الأمر وأنه واجب السلوك حتى تجاه من يبغضه الإنسان، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)} [المائدة]، بل أمر بالعدل حتى على النفس وأقرب الناس: الوالدين والأقربين، فقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)} [النساء]،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣٩١/٦).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٨٠/١٧)، الحاكم في المستدرك (٣٣٥٨) واللفظ له، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

ولعن الله الظالمين، فقال تعالى: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود:١٨]، وبيّن الله تعالى أن الظالمين لا يفلحون في الدنيا والآخرة، فقال: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام:٢١]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [المائدة:٥١].

٤- الأمر بأداء أمانة العمل.

أمر الله -عز وجل- عباده بأداء الأمانات، ومنها أمانة العمل على الوجه المطلوب، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء:٥٨].

قال الفخر الرازي: "أمر الله المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور، سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات، أو من باب الدنيا والمعاملات"(١).

وقال أبو السعود: "وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة، كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذمهم، من حقوق الله تعالى، وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية"(٢).

٥- تحريم الرشوة.

لقد حرّم القرآن الكريم الرشوة؛ فهي من أكل أموال الناس بالباطل، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} [النساء: ٢٩]، وقال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٨]، وقد لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الراشي والمرتشي؛ فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: "لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الراشي والمرتشي"(٣).

---

(١) مفاتيح الغيب (١٠٨/١٠).
(٢) إرشاد العقل السليم (١٩٢/٢).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وابن ماجه (٢٣١٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٦٢٠).

خامساً: مكافحة الفساد السياسي:

لقد كافح القرآن الكريم الفساد السياسي من خلال عدة أمور، من أهمها:

١- ذم سلوك الفاسدين من الساسة.

لقد ذم الله سلوك الفاسدين من الساسة في القرآن الكريم، فقد ذم فرعون على ظلمه وطغيانه واستعلائه على الناس، وبيّن أنه ذلك إفساد في الأرض، فقال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)} [القصص].

قال المراغي: "{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ}؛ أي إن فرعون تجبر في مصر، وقهر أهلها، وجاوز الغاية في الظلم والعدوان، وساس البلاد سياسة غاشمة"(١).

وقد ذم الله سلوك الملأ وهم الساسة والرؤساء من الأمم السابقة كما في قصة نوح وهود وصالح وشعيب وموسى في سورة الأعراف وغيرها من السور التي ذكرت قصص هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام-.

٢- تشريع الشورى بين الراعي والرعية.

أمر الله تعالى نبيه الكريم -صلى الله عليه وسلم- بمشاورة أصحابه، فقال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [آل عمران/١٥٩].

قال الحسن البصري: "قد علم أنه ليس به إليهم حاجة، ولكن أراد أن يستن به من بعده"(٢).

وقيد العلماء هذه المشاورة في غير الأمور التي يرد الشرع بها(٣).

قال ابن خُوَيْز منداد: "واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أَشْكَلَ عليهم من أمور الدين، ووجوهِ الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوهِ الناس فيما

---

(١) تفسير المراغي (٣٢/٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٤١٦).

(٣) انظر: فتح القدير (٥١٢/١).

يتعلق بالمصالح، ووجوه الكُتَّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها"[١].

وقال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى:٣٨].

قال ابن عطية: "ومدح تعالى القوم الذين أمرهم شورى بينهم؛ لأن في ذلك اجتماع الكلمة والتَّحابُّ واتصال الأيدي والتعاضد على الخير"[٢].

وقال ابن العربي: "الشورى ألفة للجماعة، ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب، وما تشاور قوم إلا هُدوا"[٣].

٣- الحث على اللين والرحمة وعدم الفظاظة تجاه الرعية.

النبي -صلى الله عليه وسلم- هو قائد هذه الأمة وسائسها، بين الله تعالى أنه امتن عليه بالخلق العظيم ومنه لين الجانب وعدم الفظاظة، وأنه بسبب لينه تجاههم وعدم كونه فظاً غليظ التعامل معهم نجح في قيادة هذه الأمة والنهوض بها، وأمره الله تعالى بالعفو عن مخطئهم والاستغفار لهم ومشاورتهم في الأمور، فهذه مقومات القائد السياسي الناجح، قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(١٥٩)} [آل عمران].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخاطباً رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ممتناً عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته، المتبعين لأمره، التاركين لزجره، وأطاب لهم لفظه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ}؛ أي: أي شيء جعلك لهم ليناً لولا رحمة الله بك وبهم"[٤].

---

(١) انظر: جامع البيان للقرطبي (٥/٣٨٠).

(٢) المحرر الوجيز (٧/٥٢٢).

(٣) أحكام القرآن (٤/١٦٦٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/١٤٨).

وقال أبو السعود: "برحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى، وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق، كنت لين الجانب لهم، وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم"(١).

٤- تحريم ظلم الرعية.

وقد مرت معنا نصوص تحريم الظلم عند الحديث عن طرق مكافحة القرآن الكريم للفساد الإداري، ومن الظلم القتل والاستبداد والطغيان والامتهان ونحوها، ومرت معنا أيضاً نصوص تحريم القتل بغير حق عند الحديث عن طرق مكافحة الفساد الأخلاقي والسلوكي.

٥- التحذير من إفساد الناس وذممهم.

حذر القرآن الكريم الساسة من إفساد الناس وذممهم، وبيّن أنهم في الإثم سواء: الفاسد ومن أفسده، قال الله تعالى: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨)} [غافر].

قال ابن عاشور: "وفي هذه الآية عبرة لزعماء الأمم وقادتهم أن يحذروا الارتماء بأنفسهم في مهاوي الخسران؛ فيوقعوا المقتدين بهم في تلك المهاوي، فإن كان إقدامهم ومغامرتهم بأنفسهم وأممهم على علم بعواقب ذلك، كانوا أَحْرياء بالمذمة والخزي في الدنيا ومضاعفة العذاب في الآخرة؛ إذ ما كان لهم أن يغروا بأقوام وَكَّلُوا أمورهم بقادتهم عن حسن ظن فيهم، أن يخونوا أمانتهم فيهم، كما قال تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت: ١٣]، وإن كان قحمهم أنفسهم في مضائق الزعامة عن جهل بعواقب قصورهم وتقصيرهم، فإنهم ملومون

(١) إرشاد العقل السليم (١٠٥/٢).

على عدم التَوثُّق من كفاءتهم لتدبير الأمة، فيَخْبِطوا بها خبط عَشْواءٍ حتى يَزِلُّوا بها فيهْوُوا بها من شواهقَ بعيدةٍ فيصيروا رميماً، ويلقوا في الآخرة جحيماً"[1].

٦- تحريم الرشوة:

وقد مرت معنا نصوص تحريم الرشوة عند الحديث عن طرق مكافحة القرآن الكريم للفساد الإداري.

**

(١) التحرير والتنوير (١٦٣/٢٤).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله –سبحانه وتعالى– على إتمامه، ولا أدّعي الكمال فيه، بل هو عمل بشر لا بد وأن يعتريه القصور، وأستغفر الله من كل خلل وخطأ.

وأبرز ما توصلت إليه من نتائج:

١. مكافحة القرآن الكريم للفساد تعنى مواجهته لكل ما خرج عن الاعتدال والاستقامة من الشرور والآثام.
٢. لقد سبق القرآن الكريم كل القوانين والتشريعات منذ أيام الجاهلية حتى يومنا هذا في موضوع مكافحة الفساد؛ من أجل الوصول بالمجتمع للصلاح والإصلاح، وهذا يدل على سموه ورفعة شأنه.
٣. من أبرز أنواع الفساد التي كافحها القرآن الكريم: الفساد العقدي، والفساد المالي، والفساد الأخلاقي والسلوكي، والفساد الإداري، والفساد السياسي.
٤. من أبرز أسباب الفساد: الذنوب والمعاصي، ووسوسة الشيطان وتزيينه، واتباع الهوى، والتقليد الأعمى، والكِبْر، والحسد، والغفلة.
٥. كافح القرآن الكريم الفساد بطرق عامة، من أبرزها: النهي عنه، وذم المفسدين، وتوعدهم بالعقوبة وبيان سوء عاقبتهم، وتعزيز مراقبة الله تعالى، والأمر بالإصلاح ورأسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٦. كافح القرآن الكريم أنواع الفساد المتعددة: العقدي والمالي والأخلاقي والسلوكي والإداري والسياسي بطرق خاصة لكل نوع منها، بجانب طرق المكافحة العامة.

ومن أبرز ما أوصي به الباحثين: دراسة موضوع مكافحة السنة النبوية للفساد.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام القرآن، لمحمد ابن العربي، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة- بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢. إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة-بيروت.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٤. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥. الاستذكار، ليوسف ابن عبد البر النميري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٨. البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الرسالة العالمية- بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٩. تاج العروس، لمحمد الزبيدي، دار الهداية-بيروت.

١٠. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون-تونس.

١١. التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد ابن جزي الكلبي، تحقيق: أ.د. محمد مولاي، دار الضياء- الكويت، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٢. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة-الرياض، الإصدار الثاني، ط١، ٢٠٠٢م.

١٣. تفسير القرآن العظيم، لعبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٤. تفسير المراغي، لأحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

١٥. تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
١٦. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي-الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبد الله التركي، دار عالم الكتب-بيروت، ط١، ٢٠٠٣م
١٩. الجامع الصحيح، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ١٩٩٥م.
٢٠. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٢١. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٢٢. السنن، لابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر-بيروت.
٢٣. السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم-بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٢٤. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة-بيروت ودار المنهاج- جدة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٥. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٢٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، مؤسسة الريان-بيروت، ط٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٧. القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٨. القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، لعبد الرحمن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي- الدمام، ط٢، ١٤٢١هـ.

٢٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة- بيروت.
٣٠. لسان العرب، لمحمد ابن منظور الأفريقي، دار صادر-بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٣١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر-الدوحة، ط٢، ٢٠٠٧م.
٣٢. المختصر في تفسير القرآن الكريم، لجماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية- الرياض، ط٣، ١٤٣٦هـ.
٣٣. المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م
٣٤. معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة-الرياض، الإصدار الثاني، ط٢، ٢٠٠٦م.
٣٥. المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، لعبد الله إبراهيم جلغوم، مركز تفسير للدراسات القرآنية- الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
٣٦. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعجي، دار النفائس-بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٣٧. مفاتيح الغيب، لمحمد فخر الدين الرازي، دار الفكر-بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٣٨. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم-دمشق، ط٣، ٢٠٠٢م.
٣٩. منهج القرآن الكريم في محاربة الشرك، د. إبراهيم صالح الحميضي، دار التدمرية- الرياض، ط١
٤٠. الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن عفان-القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

* * *